הטכניון
מכון טכנולוגי לישראל
הפקולטה
לארכיטקטורה ובינוי ערים

קורס: אדריכלות ערבית

הפקולטה לארכיטקטורה ובינוי ערים, טכניון

בתמיכת החממה החברתית בטכניון

סמסטר: אביב 2016

مساق: الهندسة المعماريّة العربيّة

كلية الهندسة المعماريّة وتخطيط المدن، التخنيون

بدعم الدّفيئة الاجتماعيّة في التخنيون

الفصل الأكاديمي: ربيع 2016

הרצאה והנחיה	**דר' נטע פניגר** **אדר' רות ליברטי-שלו**
محاضرة وإرشاد	د. نيطاع فنيجر المهندسة المعماريّة روت ليبرتي-شاليف

עבודה	**"מסגד עלי בן אבי טאלב, קלנסואה"**
סטודנטים/יות	**ג'ומאן תאיה, ניב בכר**
תרגום לערבית	**כפאח דגש**
وظيفة	"مسجد علي بن أبي طالب، قلنسوة"
طلاب/طالبات	جمان تايه، نيف بيخار
ترجمة للعربية	كفاح دغش

© כל הזכויות שמורות. אין לעשות שימוש בחומר מעבודה זו ללא הרשאה מהיוצרים.
© جميع الحقوق محفوظة. من غير المسموح استخدام المواد المرفقة على أي وجه إلا بإذن مالكيها.

جمان ونيف- المسجد في قلنسوة (قلنسوة)

مسجد علي بن أبي طالب في قلنسوة هو أقدم المساجد في المدينة، وقد بُني على أنقاض مبنى قديم، وهو ما منحه مكانته الرمزيّة. تنبع خصوصية المبنى من شكل التعبير عن الخطوة التاريخيّة في المبنى ذاته: تُبرز التغييرات التي مرّ بها المبنى ما سبقها، وتحكي قصته وقصة البلدة التي تطوّرت في محيطه.

مسجد علي بن أبي طالب (المسجد القديم) في قلنسوةجمان تاية ونيڤ بخار

قمنا من خلال هذه الوظيفة بعمل توثيق لمسجد علي بن أبي طالب الواقع بقلنسوة، وهو المسجد الأقدم فيها. لقد نما هذا المسجد على أنقاض مبنى قديم، الأمر الذي منحه مكانته الرمزية بالنسبة للمدينة. ينبع تميّزه من طريقة إنعكاس السيرورة التاريخية في المبنى ذاته: إذ تُبرز التغيرات التي تعاقبت عليه مع مرور السنين بعضها بعضاً وتروي الحكاية التاريخية الكلية للمبنى ومحيطه.
لشرح خاصية المكان، إستعنا بعدد من المصادر: معاجم جغرافية من حقبات مختلفة، مذكّرات شخصية كتبها رحّالة ومقابلات مع أشخاص أصحاب شأن [1].وقد ساعدتنا هذه المصادر في نسج السيرورة التاريخية برمّتها، خاصة وأنها جزء لا يتجزأ من محاولة فهم تطور المبنى. كما ووضّحت لنا المقابلات قسطاً من الأدوار التي أدّاها المسجد خلال القرن الماضي، بالإضافة لأهمية المبنى بالنسبة لسكان المدينة. في البداية، سنستعرض تاريخ قلنسوة والمسجد، ثمّ نشرح عن تطوره خلال القرن الماضي. في الختام، سنستعرض العناصر الفريدة الموجودة اليوم في المسجد.

نبذة تاريخية عن قلنسوة
بما أن التغيّرات المتعاقبة على المبنى خلال الحقب المختلفة مشتقة من التحولات الكبيرة التي عرفتها المدينة، لا بدّ أولاً من فهم سيرورتها التاريخية الشاملة. جاء ذكر قلنسوة للمرة الأولى بالسجلات في القرن التاسع كنقطة إستراحة على طريق دمشق القاهرة .(Peterson, 2002) [2]وقد إحتل الصليبيون القرية أثناء حملاتهم الصليبية الثانية في القرن العاشر. ثمّ سلّموها خلال القرن الثاني عشر لفرسان الإسبتارية (فرسان القديس يوحنا أو مالطا)، وفي نهاية القرن استولى صلاح الدين الأيوبي على القرية، لتعود ثانية إلى الصليبيين بعد 4 سنوات من حكمه فيها [3].بأواخرالقرن الثالث عشر، أعاد المماليك القرية لحكم المسلمين، بينما انتقلت بأوائل القرن السادس عشر لتكون بيد الإمبراطورية العثمانية. وفي العام 2000، تحولت إلى مدينة.

مواقع قلنسوة التاريخية
بالإضافة للمبنى قيد البحث، يوجد في قلنسوة موقعان أثريان قريبان منه: بناية وبئر يعودان تاريخياً لحقبة الحملات الصليبية. تقع البناية على بعد حوالي 100 متر غرب المسجد، أمّا البئر العتيقة فتبعد نحو 300 متر من المسجد وقد بُنيت بزمن المماليك. وفق ما يمكن فهمه من تاريخ المدينة، هُجرت القرية في مرحلة ما بالقرن السادس عشر ليعاد استيطانها من جديد في القرن السابع عشر. بالإمكان رؤية التطور التدريجي للقرية أو المدينة من حول هذه المواقع الثلاثة.

تحولات المسجد التاريخية
عند النظر لمبنى المسجد اليوم، يمكننا أن نميّز بوضوح عمليات التوسيع المختلفة التي جرت فيه. مع ذلك، يوجد للمسجد أساس واضح وجليّ لا بدّ من استعراض أصله بغية فهم ما لحقه من تطورات. وبما أن تاريخ المسجد طويل، تختلف المصادر التي اعتمدناها فيما بينها، حول تأريخ أصل المبنى رقم [4].(1) في التوثيق الموجود بتلك المصادر، هناك تطرق لمبنى آخر كنّا قد ذكرناه بفقرة المواقع التاريخية وهو القائم غرب المسجد، فيجري تأريخه لنفس الحقبة[5].

أمّا القلعة فيأرخها المصدران الرئيسيان لزمن الحملات الصليبية في المشرق العربي. وفي حين يعتبرها المعجم الجغرافي التابع ل PEF -بناية صليبية، لا ينسبها المعجم الجغرافي الأحدث (Petersen 2002) لأيّ من السلالات أو الممالك. مع ذلك، يرى بيترسن قبوها الذي يشكّل ركيزة طابق القلعة، بناءً مملوكياً [6].وعلى ما يبدو، أستخدم المبنى كقلعة في الطريق بين القاهرة ودمشق. بالمصدرين أعلاه، توصف القلعة كبناية لها ستة قناطر حجرية متصالبة ودرج للسطح في زاويتها الجنوبية الغربية. برسم الخارطة، نرى الوضع الذي كانت عليه البناية كما وُثّقت فيPED أواسط القرن التاسع عشر، وأيضاً ما يفترضه الموثِّقون بخصوص المبنى الأصلي.

تحولات المسجد تاريخياً

عند وصفه للمبنى، يفترض كونرد وكيتشنر (PEF) أن الواجهة الشمالية المفقودة، قد شملت نافذة مزدوجة مدعومة بعمود. تستند هذه الفرضية على بقايا عمود واسع وسط الضلع القصير، وعلى تاج عمود كورنثي من الشايش الأبيض، وجداه ملقياً في شارع مجاور. ينال هذا التوثيق دعماً إضافياً على لسان غيرن الذي وجد العمود بأحد البيوت الخاصة، حيث استُخدم تاج العمود كجرن[7].

يشير المعجم الجغرافي إلى أن المبنى قد حُوّل لمسجد سنة 1911. وفي الصور التي توثق المبنى زمن الإنتداب، يمكن مشاهدة الواجهة الشمالية التي تمّت إضافتها، وكذلك ما أُضيف للواجهات المهدومة. يقوم هذا المبنى اليوم كجزء من المسجد الكبير.

عمليات توسيع المبنى
إجتاز المبنى ثلاثة تغييرات طيلة القرن العشرين.

1. أواخر العهد العثماني – أُستكمل ثلث ما تبقى من المبنى القديم بواسطة لبنات حجرية بغية إنشاء المسجد.
2. سنوات الخمسين: توسيع المسجد – تمّ باتباع طرق البناء المألوفة آنذاك. الزيادة في الواجهة الغربية بواسطة الطوب الإسمنتي (بلوكات) والسقف الإسمنتي (سقف الباطون)، وفي الداخل أُضيف المحراب بالجزء الشرقي من الواجهة الجنوبية.
3. سنوات التسعين: عملية التوسيع الأخيرة – لقد تمّت قصارة هذه الطبقة الخارجية من الزيادة. نجد في مدخل المبنى قبّة صغيرة مع طابق ضوء، وضمن هذه الزيادة يدخل المحراب الذي نراه اليوم.

المسجد الأول

عمليات توسيع المبنى

الواجهة الجنوبية

تقع في الواجهة الجنوبية مداخل الطابق السفلي (القبو) والمدخل العتيق التقليدي. بحسب متانة، وُجد المدخل الرئيسي للقلعة مباشرة فوق مدخل فضاءات القبو. أُستخدم هذا المدخل من قبل الحاكم، بينما استخدم المدخل السفلي من قبل الجنود، حين استراحوا في القلعة أثناء أسفارهم على طريق البريد. يضيف متانة أن هذه الواجهة تضم تقاليد البناء الإسلامي من خلال الحجر الأبلق الموجود في المدخل الرئيسي: تمّ استخدام الحجارة الحمراء تارة والبيضاء تارة أخرى، في تشكيل الواجهة. لم يعد هذا النمط ملحوظاً في الواجهة الآن، لكن يمكننا إيجاد آثار فروقات ألوان القوس بالمصادر الموثّقة.

الواجهة الغربية

لقد إنعكست عمليات توسيع المبنى على مرّ الأزمان، بشكل جليّ جداً في واجهته الغربية، حيث نشاهد الطريقة المختلفة لنحت الحجر من عهود أقدم، والبلوكات المعاصرة في التوسيع الأول للمسجد وأيضاً الحائط المقصور (في الجزء الشمالي للمبنى) من آخر عملية توسيع جرت هناك.

المسجد
كما ذكرنا سابقاً، المرّة الأولى التي شُخّص فيها المكان على أنه مسجد كانت سنة 1911، وقد مرّت عليه عمليتا توسعة إضافيتان خلال القرن. حالياً، لا يُستخدم الجزء الأصلي من المبنى كمصلّى كما كان في السابق، بل كمكان للتخزين. ناهيك عن أن المصلين، سكان المدينة يصلّون بثلاثة مساجد أخرى موزّعة في أرجائها، ليبقى المسجد القديم رمزاً تاريخياً للبلدة.

عناصر المسجد ـ المحراب
تمّت إضافة المحراب الأول أواسط القرن العشرين، عندما قاموا بتوسيع المسجد في المرّة الأولى، عبر إخراج بعض الحجارة من الحائط القديم الذي بلغ سمكه مترين إثنين. تعتمد زخرفة المحراب النمط نفسه الموجود في المبنى الأصلي.

عناصر المسجد ـ المئذنة
المئذنة وهي موجودة في الركن الجنوبي الغربي، وتستخدم درج الصعود الذي هو جزء من المبنى الأصلي. البرج الذي بُني بالتوسعة الأولى للمسجد (أواسط القرن العشرين). في المقابلة مع عبد الرازق متانة، أشار إلى أن البرج لا يحاذي أو يلامس أية جدران حاملة، مما يجعله غير مستقر إنشائياً.

عناصر أخرى موجودة في المبنى ـ العقد
جرى خلال الأزمنة العابرة تقسيم الطابق السفلي (القبو) الموجود تحت المبنى، بحيث يؤدي المدخلان الأصليان من واجهته الجنوبية إلى فضائين منفصلين. إذ أُستخدم مدخل القبو من قبل مالكي المكان في القرن العشرين كباحة خبيز وهي غير مستعملة اليوم. أمّا المدخل الشرقي تحت المسجد، فيؤدي إلى بيت إمرأة مسنة، تسكن هناك. في وصف غرن للمبنى يذكر أيضاً أنه وجد عدداً من العائلات التي تقطن المساحات الموجودة تحته. ومن توثيقات عهد الإنتداب، يمكن بوضوح رؤية وجود مدخل آخر لمساحات القبو من الواجهة الغربية للمبنى. لذا، يمكننا إفتراض وجود المزيد من المساحات التي منافذها مسدودة اليوم.
يُدعى طابق القبو القائم على قناطر "العقد": وهو نمط بناء محلّي تقليدي لبيوت القناطر.

تلخيص

في توثيقنا لمسجد علي بن أبي طالب، إخترنا تتبّع السيرورة التاريخية الواسعة التي عبَرها المبنى ومحيطه. وبفضل المقابلات التي أجريناها مع مراجعة المصادر التوثيقية، وجدنا عدداً من الصيغ لبداية المبنى ووظائفه المختلفة طوال السنين الماضية: لقد إدّعى باحثو "الصندوق البريطاني لدراسات فلسطين" أن القلعة بُنيت على يد الصليبيين، بينما باعتمادنا المعجم الجغرافي الأحدث والمقابلة مع عبد الرازق متانة، رأينا أن للمبنى أصولاً مملوكية؛ في مذكّراته، يشير غْرن إلى أن المبنى كان على ما يبدو كنيسة، بينما تنفي المصادر الأخرى ذلك. مع ذلك، تعود جميع هذه المصادر لنفس الفترات وتعتبرها محطات هامة في مسيرة تطور المبنى.

وكما ذكرنا في التمهيد، يتميز المبنى بالطريقة التي تظهر فيها هذه الفترات المختلفة على معالم المبنى الحالي، حيث تعكس واجهته الغربية أمام الزائر خطاً متتالياً من جنوبه إلى شماله، يحوي السيرورة التاريخية التي مرّت عليه وعلى المدينة. بينما تشكّل حجارته المختلفة نوعاً من فسيفساء الحقبات المتعاقبة، والتي يمكن نسب بعضها لفترات تاريخية محدّدة وواضحة. كما من الملفت رؤية كيف أثّر التغيير الوظيفي للمبنى على طريقة تطوره وكيف أثّر نمط المبنى على التوسيعات التي مرّ فيها: كالمحراب الأول في مبنى القلعة الذي صُمّم بطريقة تذكّر بالأقواس التي تحيطه؛ وطريقة ترتيب مداخل فضاءات القلعة في الحائط المكمل للمسجد وتصاميمها؛ أيضاً إستخدام مكان الصعود الأصلي لسطح المبنى بغية وضع المئذنة.

لقد واجهتنا صعوبة بإيجاد مادة متعلقة بعمليات التوسيع التي مرّت على المسجد في زمننا الحالي، مما يبقي واحدة من مراحل حياة المسجد غير معلومة وتحتاج المزيد من البحث والتوضيح. إضافة لذلك، سيكون من المثير بحث العلاقة بين الموقعين التاريخيين المجاورين ومبنى القلعة العريق.

[1]بفترة جمع المواد، قابلنا فوزي جدّ جمان وهو شخص مسن ترعرع في قلنسوة، إضافة لعبد الرازق متانة، عالم آثار يبحث منذ سنوات تطور الفن المعماري المحلي للمساجد.

[2]خلال القرن 13، أُعيد تعريف الطريق من قِبل المماليك لتصبح درب البريد. وتحت حكمهم، نُقلت الإستراحة القريبة من قلنسوة إلى قرية مجاورة.

[3]يوجد في القرية مسجد آخر، يسمّى مسجد صلاح الدين.

[4] Petersen, Andrew (2002) **A Gazetteer of Buildings in Muslim Palestine, Volume 1**, Published for the Council for British Research, in Levant by Oxford University Press

Conder C.R & Kitchexer H.H. **The Survey of Western Palestine Volume 2**, Palestine Exploration Fund;

تجدر الإشارة إلى أن معجم بيترسن الجغرافي يحوي توجيهات لوثائق من عدة أشخاص من حقبات مختلفة، ربما من المشرق العربي، بينما في توثيق "صندوق دراسات فلسطين" من القرن 19 لا ذكر لمصدر التخمينات عن بداية المبنى والعناصر الموجودة فيه. بخصوص المصادر الفرعية الأخرى، أنظروا لاحقاً.

[5]بكلّ المصادر التي طالعناها، يتمّ التطرق لمبنى المسجد على أنه Hall وللمبنى الآخر .Tower تجدر الإشارة إلى أنه لا يمكن اليوم تمييز أي وجود مؤكد للبرج في منطقة المبنى الغربي، إلاّ أنه استناداً لبقية توثيقاته المعمارية، لا شكّ بتلائمه مع هذه التوصيفات. لاحقا برج.

[6]فيما يلي – العقد. أنظروا لاحقاً، تفسيراً ثانياً لوظيفة القبو ووصف وضعه الحالي.

[7]ران، ڤكتور (1984) وصف أرض إسرائيل – هشومرون، (ترجمة حاييم بن عمرام)، القدس: يتسحاك بن تسڤي. وثّق رحلاته خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ومن وصفه لنقل تاج العمود الكورنثي، نستنتج أنه زار قلنسوة بعد الوصف الموجود عند باحثي ال.PEF